Erich-Brost-Institut
für internationalen Journalismus

THE SAMIR KASSIR FOUNDATION

منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا: لا استدامة إعلامية من دون مساءلة وسائل الإعلام

في ورشة عمل استمرّت يومين بعنوان "مساءلة وسائل الإعلام واستدامتها في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا"، قدّم معهد إريك بروست للصحافة الدولية (ألمانيا) بالتعاون مع مؤسسة سمير قصير (لبنان) فسحةً مفتوحةً للنقاش بين ناشرين إعلاميين ورؤساء تحرير من تسع دول في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. انعقدت ورشة العمل في فندق كمبنسكي عمّان، الأردن، يومَي 24 و25 أيلول/سبتمبر 2021، بمشاركة أكثر من 30 شخصاً من الجزائر، مصر، الأردن، لبنان، ليبيا، المغرب، تونس، السودان وسوريا، بالإضافة إلى مساهماتٍ من خبراء أوروبيين يعملون في مجال تطوير وسائل الإعلام. أدارت الورشة إيزابيلا كوركوفسكي، منسّقة برنامج "مساءلة وسائل الإعلام في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا" في معهد إريك بروست للصحافة الدولية، بمشاركة د. خالد غلام، عميد كلية الفنون والإعلام في جامعة طرابلس.

شرحت ورشة العمل مفهوم مساءلة وسائل الإعلام، من خلال التركيز على الطُّرق التي تمارس عبرها القطاعات الإعلامية في المنطقة، بما في ذلك المجتمع المدني الحيوي، الرقابة الذاتية من دون تدخّل الدولة في المسائل المتعلّقة بالآداب. فعرضت إيزابيلا كوركوفسكي، منسّقة برنامج "مساءلة وسائل الإعلام في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا" في معهد إريك بروست للصحافة الدولية، المموّل من قِبل وزارة الخارجية الاتحادية منذ 2020، نتائج الدراسة التجريبية لعام 2021 التي نشرها المعهد بالتعاون مع كريم صفي الدين من مؤسسة سمير قصير بعنوان "مساءلة وسائل الإعلام في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا". فأظهر تحليل نتائج الدراسة، بشكل واضح، وجود رابط بين تطبيق وسائل الإعلام لمسؤولياتها وضمان الاستدامة المالية المستقلّة. وقد ساهم أكاديميون من المنطقة، مثل الأستاذة عبير النجار، د. عبد الملك القدوسي، د. فاطمة العيساوي، داميان رادكليف، هديل أبو حميد ود. فيليب مدانات، بأبحاث معمّقة أغنت النقاش بين المتخصّصين الإعلاميين حول الروابط بين مساءلة وسائل الإعلام واستدامتها. خلال النقاش، سلّط المتكلّمون الضوء على أهمية تثقيف الصحافيين بشأن مساءلة وسائل الإعلام وإدارتها، وضرورة إدراج هذه الخطوة الأساسية ضمن المناهج التدريبية. في هذا الإطار، عرّفت إيزابيلا كوركوفسكي، منسّقة البرامج في معهد إريك بروست، بمنصّة جديدة للموارد الإلكترونية المتعلّقة بموضوع مساءلة وسائل الإعلام في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا،

شارحةً أنها تقدّم أفكاراً ثاقبةً ومفيدةً للمناهج التدريبية وتدريبات الصحافيين حول موضوع مساءلة وسائل الإعلام باللغتين الإنكليزية والعربية.

بالإضافة إلى ذلك، عرضت ورشة العمل مختلف التحدّيات، فضلاً عن النضالات والاحتياجات المشتركة بين مختلف الدول، خاصةً تونس، العراق، الأردن، المغرب، مصر، سوريا، لبنان، ليبيا والجزائر، كما شرحها ناشرون إعلاميون معروفون مثل ياسر عكاوي (لبنان)، عماد الخازن (لبنان)، ناجي حجي (الجزائر)، فاطمة فرج (مصر) ومحمد اليوسفي (رئيس تحرير مجلة الكتيبة الإلكترونية وعضو في مجلس الصحافة التونسية). ومن هذه التحديات، على سبيل المثال لا الحصر، بسْط السيطرة على النقابات، التهديدات ضدّ حرّية الخطاب، المال السياسي الناجم عن انعدام نماذج العمل المبتكرة والمستدامة لوسائل الإعلام، والنزعات الاستبدادية للهيئات التنظيمية. كما عرّفت لينا عجيلات، المؤسِّسة المشاركة ورئيسة تحرير حبر ميديا الكائنة في الأردن، بمنصّتها غير الربحية، شارحةً كيف تدخل مساءلة الوسيلة الإعلامية ضمن العلاقات التفاعلية التي تجمع بين المستخدمين والمحرّرين. جدير بالذكر أنّ هذه المنصّة مستقلّة سياسياً، لذا شدّدت عجيلات خلال الورشة على الحاجة إلى مؤسسات إخبارية قادرة على تلبية احتياجات المستخدم لا الجهة المموّلة.

تمعّن المشاركون في مناقشة مجموعة متنوّعة من المواضيع الأساسية، مثل "الحيادية التي تفترضها أخلاقيات الصحافة" ومسألة ولاء الصحافي للجمهور. في هذا الإطار، سينشر معهد إريك بروست للصحافة الدولية قريباً جداً نتائج الدراسة المقارنة العالمية التي أجراها حول ممارسات مساءلة وسائل الإعلام المعتمدة عبر القارات، وقد تمّ فيها تحليل 44 بلداً نموذجياً من مختلف الأنظمة السياسية والإعلامية. وعالج د. فيليب مدانات في مداخلته مسألة ثقة المواطنين بالإعلام، لا سيّما عند مقارنة ذلك بقطاعات ومؤسسات حكومية أخرى. بالإضافة إلى ذلك، عرض أولاف ستينفاد من منظمة مراسلون بلا حدود "مبادرة الثقة في الصحافة" التي تُعَدّ أداةً لضمان الشفافية ومساءلة وسائل الإعلام في مختلف أنحاء العالم. بالفعل، تُشكّل هذه الأداة وسيلةً أولى من نوعها من أجل القيام بتقييم ذاتي وتدقيق خارجي للعمليات التحريرية. فتصدر نتيجةً لذلك شهادةٌ تثبت امتثال الوسيلة الإعلامية للمعايير المهنية، ويتمّ بالتالي تحديد مصادر المعلومات الموثوقة ومكافأتها. من هنا، شكّلت ورشة العمل هذه مدخلاً لإطلاق مبادرة الثقة في الصحافة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، فطالب المشاركون بتوفيرها باللغة العربية أيضاً. يُعتبر هذا الأمر مثيراً للاهتمام، كونه يعزّز مفهوم مساءلة

وسائل الإعلام، ويوفّر معياراً مشتركاً لقياس درجة شفافية المجتمع الإعلامي ككلّ ومدى جدارته بالثقة. فوافق المشاركون على أنّ موثوقية الإعلام تُشكّل جزءاً لا يتجزّأ من مساءلة وسائل الإعلام، وذلك على صعيد تفاعل الإعلام مع الجمهور. في هذا الإطار، أشارت رولا ميخائيل، المديرة التنفيذية لمؤسسة مهارات، على أهمية توعية المجتمع المدني تجاه وسائل الإعلام وزيادة إلمامه بها. وشرح حازم الأمين، المؤسِّس المشارك ورئيس تحرير موقع درج ميديا الكائن في لبنان، أنّ القرّاء والمستخدمين يشاركون منذ البداية في عملية التحرير اليومية، وأنّ هذا الأمر يُشكّل أداةً أساسيةً لمساءلة وسائل الإعلام، خاصةً وأنّ المستخدمين يتفاعلون مباشرةً مع المقالات المنشورة فور نشرها تقريباً.

وكانت لناجي حجي، ناشر إعلامي ورئيس تحرير من الجزائر، مداخلة أخرى تعمّق فيها في التناقض المثير للجدل بين تصريحات الجزائر عن حرّية الصحافة من جهة وواقع الاستيلاء على الإعلام في البلاد من جهة أخرى. في هذا الإطار، اعتبر المتكلّم أنّ مبالغة الدولة في سياساتها التحريرية المفروضة على وسائل الإعلام، واعتماد وسائل الإعلام على النُّخَب السياسية، هو السبب الأساسي الذي يحول دون تطبيق مستوى مناسب من الرقابة الذاتية في دول عدّة. أما الأستاذة النجار، فقد شدّدت على أنّ الحاجة قد تدعو إلى حوار بين المجتمع الإعلامي والمجتمع المدني من جهة والحكومات من جهة أخرى، سيّما وأنّ حواراً كهذا قد يُشرّع أبواباً جديدة لمساءلة وسائل الإعلام واعتماد الأخلاقيات التطبيقية.

تعرّف المشاركون في ورشة العمل على الدور المحدّد لإحدى مُحقِّقات الشكاوى القليلات جداً في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وهي السيدة نرجس المخينيني من تونس، التي عرضت الواقع اليومي لعمل مُحقِّقي الشكاوى في الغرف الإخبارية. فركّزت على أنّ مُحقِّقي الشكاوى هم صلة وصْل بين الجمهور والمستخدمين من جهة والوسيلة الإعلامية المعنيّة وصحافيّيها من جهة أخرى، من دون تدخّل الحكومة. كما شدّدت على إمكانية دمْج مُحقِّقي الشكاوى بكل سهولة في الغرف الإخبارية، كونها مهمّة طوعية، تلقى تقديراً عالياً، ولا تُرتّب تكاليف إضافية على الوسيلة الإعلامية. جدير بالذكر أنّ شبكة مُحقِّقي الشكاوى كانت قد أنشئت عام 2014 في تونس، بدعم من معهد إريك بروست للصحافة الدولية.

اعتبر المشاركون أنّ استدامة وسائل الإعلام شرط أساسي لمساءلة وسائل الإعلام في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، لا سيّما وأنّ الكثير من هذه المؤسسات تناضل من أجل تأمين استدامتها المالية، وتعتمد غالباً على تمويل المانحين، ممّا يؤدي في أغلب الأحيان إلى إهمال وسائل الإعلام المستقلّة الأصغر حجماً. في هذا الإطار، أعرب المشاركون عن الحاجة إلى تمويل مرِن، يكون مفصّلاً بحسب الاحتياجات المباشرة والفورية للمؤسسات الإعلامية في سياق الأزمات. بعد ذلك، ركّز أيمن مهنّا، المدير التنفيذي لمؤسسة سمير قصير، وميرا ميلوزيفتيش، المديرة التنفيذية للمنتدى العالمي لتطوير وسائل الإعلام، على ضرورة التنسيق بشكل أفضل مع منظمات المانحين الدولية، وإعداد استراتيجيات تمويلية لمبادرات المؤسسات الإعلامية الصغيرة والمستقلّة التي غالباً ما تسقط من اعتبارات كبار المانحين، كونها لا تستوفي عادةً معايير طلبات التمويل، أو كونها غير قادرة، بكل بساطة، على الامتثال لشروط المانحين. في هذا الإطار، من الضروري وضع استراتيجية على المدى الطويل، بالإضافة إلى اعتماد مقاربات جديدة ومبتكرة للاستدامة الذاتية. فدعا أيمن مهنّا إلى "التنسيق مع المانحين، وتطبيق نماذج مبتكرة جديدة لتأمين الاستدامة المالية للإعلام المستقلّ على المستويات كافةً، والحرص على أن تعتمد البرامج المقبلة وجهة النظر هذه من دون أن تكون وسائل الإعلام معتمدةً بشكل حصري على تمويل المانحين".

اتّفق المشاركون في ورشة العمل التي استمرّت يومين على مجموعة من التوصيات المتعلّقة بمساءلة وسائل الإعلام واستدامتها في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، مشدّدين، بشكل خاص، على ضرورة:

1. الاتفاق على معيار مشترك للأخلاقيات والمبادئ المتعلّقة بالممارسات الإعلامية ضمن المؤسسات.
2. إنشاء منصّة/آلية اعتماد، كاعتماد المعايير المحدّدة في الكتيّب العالمي لمساءلة وسائل الإعلام الصادر عن معهد إريك بروست، والشبكات الدولية لتقصّي الحقائق، مثل مبادرة الثقة في الصحافة التي أطلقتها منظمة مراسلون بلا حدود.
3. تشكيل ائتلاف بغية العمل على إيجاد بيئة مؤاتية لمساءلة وسائل الإعلام: تُراعي الاستدامة المالية، الإطار القانوني، إشراك المعلنين، والحملات التوعوية التي تستهدف الشباب.
4. دراسة إمكانية التعاون من أجل تطوير محتوى مبتكر، يجذب جماهير متنوّعة في مختلف أنحاء المنطقة.

5. اعتماد استراتيجية إعلامية مرنة وعملية لمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا لتسهيل مساءلة وسائل الإعلام واستدامتها.

بالإضافة إلى ذلك، اتّفق المشاركون على نشْر هذه التوصيات، من خلال شبكة مساءلة وسائل الإعلام لمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، التابعة لمعهد إريك بروست، (وهي تتألّف من 41 عضواً و10 دول)، وفتْح باب الحوار مع المنتدى العالمي لتطوير وسائل الإعلام حول القضايا المذكورة أعلاه من أجل دمج آراء الجهات الفاعلة في المنطقة ضمن سياسات التمويل الدولية.

للاتصال:

إيز ابيلا كوركوفسكي، معهد إريك بروست للصحافة الدولية: isabella.kurkowski@tu-dortmund.de

أيمن مهنّا، المدير التنفيذي لمؤسسة سمير قصير: amhanna@skeyesmedia.org